تآليف ابن رشيق

ـ من محاضرة الاستاذ عبد العزيز الراجكوتى ـ

(١) كتاب العمدة فى صناعة الشعر ونقده ـ اسمه عنوانه « ان الجواد عينه فراره » تأليف راوية ناقل وجهبذ بصير على الشعر والشعراء . وان كان ابن المعتز وقدامة الكاتب والقاضى الجرجانى وأبو الهلال العسكرى وغيرهم تقدموه الى وضع كتبهم فى هذا الشأن إلا أن استيفاء المباحث وتفريع الابواب والتنويع والنقد والتزييف والجرح والتعديل مع رعاية الانصاف واستيعاب جملة من أدوات الكتاب والشعراء والمواد اللازمة لم لا يشارك كتاب صاحبنا فيها. أى كتاب. ذكره ابن خلدون[1] فى عدة مواضع من مقدمته : قال فى موضع منه بعد ذكر أن قرض الشعر وصنعته لا بد له من النشاط وفراغ الخاطر :

ذكر ذلك ابن رشيق فى كتاب العمدة وهو الكتاب الذى انفرد بهذه الصناعة واعطاه حقها ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده مثله

ثم قال بعده بقليل :

وبالجملة فهذه الصناعة وتعلمها مستوفىً فى كتاب العمدة لابن رشيق

قال صاحب البساط والعهدة عليه انه صنفه قبل سنة ٤٢٠ هـ أقول وفى العمدة [2] « ومن قصيدة صنعتها بديهة بالمهدية ساعة وصولي اليه (الى المعز) أدام الله عزه عن اقتراح بعض شعراء وقتنا هذا ثم سرد أبياتاً منها قوله :

الى الملك المعز أبى تميم أمر بمن سواه فلا أعيج

وهذا يقتضى أن يكون صنفه بالمهدية بعد السنة ٤٤٩ هـ وهى سنة انجلاء المعز إلى المهدية فيكون أتمّ الانموذج وقراضة الذهب بالمهدية أو صقلية . اللهم إلا

(١) مصر سنة ١٣١١ هـ ص ٣٥٤ و ٣٧١ ، ٣٧٢ الى غيرها (٢) ١ ـ ١٥٤

أن يكون أضاف هـذه العبارة فقط بالمهدية . كما سيمر بك ان بعض الناس ادعى عليه أنه سرق من كتاب له عدة أبواب وضمنها العمدة . ودعواه هذه مذكورة فى العمدة فلا محيص إذن من أن يكون ألحقها بعد الاتمام والله تعالى أعلم

واختصره الصقلىّ [١] وسماه العُدّة كما فى كشف الظنون .

واختصره [٢] موفق الدين البغدادىّ أيضا . قال ابن الأبار فى كتاب التكملة لكتاب الصلة في ترجمة أبى بكر بن سراج النحوى « محمد بن عبد الملك [٣] الشَنْتَرِينىّ يعرف بابن السراج ويكنى أبا بكر ..... وله اختصار فى كتاب العمدة لابن رشيق وتنبيه على أغلاطه فيها ..... توفى بمصر سنة ٥٤٥ هـ » ولا يذهبن عليك أن يكون أمثال هذا النقد يخفض من شأن الكتاب شيئا . بل يدلّ على رغبة العلماء فيه والبحث عن فوائده والحرص على تهذيبه مما يشين حتى لا يبقى نهزة لكل قانص ولقًى بين يدى كل لاقط . وهذا حمزة الاصفهانى صنف كتابا فى تصحيف العلماء وعلى بن حمزة البصرى أخذ على المبرد فى كامله وأبى حنيفة فى نباته ويعقوب فى إصلاحه إلى غيرهم . وكذا أبو عبيد البكرى صاحب اللآلى فى شرح أمالىّ القالىّ صنف في التنبيه [٤] على أغلاطه كتابا مفرزاً

طبع العمدة أولا بتونس سنة ١٢٨٥ هـ الجزء الأول فقط . ثم طبع فى مصر بتمامه سنة ١٣٢٥ هـ وزعموا أنهم عارضوه على ثلاث نُسخ . وبالمكتبة الملكية فى مصر منه نسخة جيدة

---

(١) هو ابو عمر عثمان وقد ذكره ياقوت في ترجمته ٥ : ٤١ . وقال صاحب البساط (ص ٨٨) انه العلامة ابن القطاع [صاحب الافعال استاذ ابن برىّ] وأن العدة شرح وليس باختصار (٢) الكشف رسم العمدة والقوات ٨:٢ (٣) ١ : ١٩١ والعدد ٦٦٠ من طبعة مجريط عاصمة اسبانيا (٤) هو من نفائس الخزانة التيمورية بالقاهرة . وقد وصف بالمشرق ١٩١ - ٢٠٠ سنة ١٩٢٠ م

وبحث ابن رشيق فى آخر كتابه هذا عن عدّة فنون من فنون الادب حتى يصير كتابه قائما بنفسه كباب الانساب وما يتعلق بها وباب أيام العرب وباب معرفة ملوك العرب وباب الخيل ومذكوراتها وباب أغاليط الشعراء والرواة (وهذا الباب مستوفىً فى كتاب الصناعتين والوساطة أيضا) وباب منازل القمر وأنواعها وباب الاماكن والبلدان إلى غير ذلك من أبواب الفنون اللازمة للاديب

وذكر فى العمدة [1] أن بعض الناس عاب عليه السرقةَ عنه فى العمدة وهاك لفظه « وقد بلغنى أن بعض من لايتورّع عن كذب ولا يستحيي من فضيحة زعم أنى أخذت عنه مسائل من هذا الكتاب ـ ولو سئل عنها الآن ما علمها والامتحان يقطع الدعوى كما قال بعض الشعراء :

من تحلّى بغير ما هو فيه فضح الامتحان ما يدّعيه

وكنت غنيا عن تهجين هذا الكتاب بالاشارة الى من أشرت اليه أنفاً من ذكره وعزوفا بهمّتى عن الانحطاط الى مساواته ولكن رأيت السكوت عجزا وتقصيرا . اه

(٢) أنموذج الزمان فى شعراء قيروان ـ هذا الكتاب لم أجده ذكرا في فهارس خزائن الكتب العمومية ـ الا أن من تقدّمنا قد عثروا عليه وأخذوا منه واقتبسوا من نوره ـ ويشر به فى العمدة [2] ولفظه فى باب التكسب بالشعر والانفة منه « وهذا الباب قد احتذاه الكُتّاب فى زماننا هذا إلا القليل وقوم من شعراء وقتنا أنا أذكرهم فى كتاب غير هذا » وذاع الكتاب وسار مسير الشمس فى الاقطار ورأيت ابن الابار صاحب التكملة وابن منظور صاحب نثار الأزهار والأزدى صاحب البدائع والسيوطى وغيرهم وهم كثيرون

(١) ٢ : ١٨٦ (٢) ١ : ٥٢

يجتنون من أزهاره ويمشون الى أنواره ـ ومن إعوازه وعدم وصول الايدي الى مرادها منه ذكرت فيما مرّ (ص ٢١٠-٢١١) فهرسا سردت فيها ما عثرت عليه من تراجم أدباء قيروان مأخوذة من تآليف من عثروا عليه. فكأني أحييت منه بصنيعي هذا جزءاً فلله الحمد على ذلك. وقد اطلعت بعد وضع ذلك الفهرس على أسماء رجال آخرين من ادباء القيروان ورد ذكرهم فى الانموذج على مانقل عنه فى الكتب الآتى بيانها:

أبو بكر عتيق بن محمد التيميّ الوراق. من الانموذج. الفوات ٢ :٢٩

بكر بن عليّ الصابوني. من الانموذج. الفوات ٢ : ٨٠

عبد الرحمن بن محمد القرشي. من الانموذج. الغيث المسجّم ١ : ٢٣٠

عبد الله بن رشيق المذكور عن الانموذج. نفح الطيب مصر ٢ : ٢١ أيضاً

عبد العزيز بن خلوف الجروى. نثار الازهار ٢٠

محمد بن ابراهيم. نثار الازهار ٢٠

(٣) قُراضة الذهب فى نقد أشعار العرب. قال فيه ابن خلكان[١] «وهو لطيف الجرم كبير الفائدة» وعثر عليه ابن الابار أيضاً وقد نقل كلامها عنه أن ابن هانىء توفّى سنة ٣٦٢ هـ إلا أن ابن الابّار قدّم قول سنة ٣٦١ هـ كما هو فى الاحاطة[٢] لابن الخطيب ـ ذكره أيضا فى العمدة[٣] ولفظه:

«باب المعانى المحدثة ـ ولكنى أفرد له [ما شارك فيه المتأخرون المتقدمين من المعانى وما اختص به جماعة دون اخرى] كتابا قائما بنفسه أذكر فيه ما انفرد به المحدثون وما شاركهم فيه المتقدمون اهـ» ويوجد منه نسخة فى ٤٦ ورقة بالمكتبة الملّية فى باريس وعدده فى فهرستها ٣٤١٧ (لا ٣٣١٧ كما زعم صاحب المقالة فى دائرة المعارف الاسلامية بالانكليزية) وهو مكتوب الى

(١) ١ : ١٣٣ (٢) ٢ : ٢١٤ (٣) ٢ : ١٨٧

أبي الحسن علي بن أبي القاسم اللوائي وأوله « أما بعد امتع الله اخوانك ببقائك وكفاهم الأسواء فيك وجعلني من بينهم الفداء لك . اهـ » بحث فيه عن سرقات المتقدمين والمتأخرين من الشعراء

(٤) كتاب الشذور في اللغة ـ جمع فيه شواذ كل باب ككتاب ليس لابن خالويه . قال صاحب البساط ثم شرحه بنفسه

(٥) ديوان شعره ـ قال ابن خلكان [1] في ترجمة ابن يعيش شارح المفصّل « وكان الشيخ موفق الدين المذكور كثيراً ما ينشد منسوبا الى أبي علي الحسن ابن رشيق المقدم ذكره ثم كشفت ديوانه فلم أجد هذه الابيات فيه » (ثم سردها وهي عينية انظرها في التتف) أقول وكذا نقل ياقوت في ترجمة ابن رشيق بعض هذه الابيات من نسخ الملح وقال إني لم أقف على تمامها ـ مع أنها بتمامها مسطورة في العمدة (٢ : ١٣١) ومنه يعلم أن الديوان ليس فيه جميع شعره والله أعلم . ويوجد بمكتبة اسكوريال مجموعة فيها شيء من شعره وشعر مهيار الديلمي وأبي الحسن الصقلي وابن الحكاك المكي تأليف أبي محمد عبد الله بن يحيى بن حمود الحزيمي (كذا) ـ والمجموعة تحت عدد ٤٦٧ في فهرستها جمع درنبورغ وذكرها أماري أيضاً في مجموعة تواريخ صقلية (ص ٦٨٠)

(٦) ميزان العمل في تاريخ الدول قال الحاج خليفة انه عدد فيه أيام الملوك فحسب

(٧) شرح موطأ مالك كما في الكشف

(٨) تاريخ قيروان على ما فيه أيضاً

(٩) الروضة الموشية في شعراء المهديه ـ كما في البساط ـ

(١٠) كتاب المساوى في السرقات الشعرية كما فيه أيضا

(١١) مختصر الموطأ على ما في البساط . ولا يبعد أن يكون صاحبه ظن شرح الموطأ مختصراً له ـ

(١) ٢ : ٣٤٣

(١٢) أنموذج اللغة

وهذه رسائله في الردّ على أهل عصره :

(١٣) رفع الاشكال ودفع المحال

(١٤) ساجور الكلب

(١٥) نجح الطلب

(١٦) قطع الانفاس

(١٧) فسخ الملّح ونسخ اللمح وقف عليه ياقوت كما مرّ [١]

(١٨) نقض الرسالة الشوذية والقصيدة الدعية

(١٩) الرسالة المنقوضة [٢]

ونقل صاحب البساط عن الصلاح الصفدى قوله « وقفت على هذه المصنفات والرسائل جميعها فوجدتها تدل على تبحره في الادب واطلاعه على كلام الناس ونقله لمواد هذا الفن وتبحره في النقل »

﴿ الإلمام ببعض أوهامه ﴾

لم يكن من غرضنا ههنا أن نتتبع سقطاته أو ننعى عليه عثراته إلا أن الانسان وإن بلغ نهاية الكمال فلا بد له من عَيْب يقيه من العَيْن الا من عصمه الله . وقد قالوا اللبيب من عُدّت سقطاته ، ولكل عالم هفوة كما أن لكل جواد كبوة ولكل سيف نبوة . وحسبك أنى لم أجد من هذا الباب فى كتاب العمدة الا ثلاثة وباب التأويل يدافع عنه إن ملنا إليه :

(١) فصل المضاف بين المضافين . نقل [٣] عن شيخه عبدالكريم فى عبارة « هذه أملح وأشرف ما وقع فيه الوصف » ولم ينبه على غلطه ولا اعتذر عنه . وهذا أى ايراد المضافين على مضاف إليه مما لا يجوز ألبتة في النثر قال سيبويه [٤]

(١) هذه الرسائل الخمس عن الفوات ٢ : ٢٠٤ في ترجمة ابن شرف (٢) هاتان الرسالتان من البساط (٣) العمدة ٢ : ٩٤ (٤) طبعة بولاق ١ : ٩٠ ـ ٩٢

« ومما جاء فى الشعر قد فُصل بينه وبين المجرور [وأنشد شواهد ثم قال] وقول الأعشى :

إلا عُلالةَ أو بدا هة قارحٍ نَهْدِ الجُزارهْ

فهذا قبيح ويجوز فى الشعر على هذا « مررتُ بخيرٍ وأفضلِ مَن ثَمّ » . . .

وقال الفرزدق :

يا من رأى عارضا أسَرّ به بين ذراعَىْ وجبهة الأسد

ومثله فى المفصل وشرحه لابن يعيش وجمهرة كتب العربية

(٢) الخطأ فى الرواية ـ أبيات سيف الدولة الضادية المشهورة فى وصف قوس قُزَحَ وألوانها له حقا كما عزاها اليه الثعالبي فى كتابين له والشريشي [١] ولفظ الثعالبى فى اليتيمة [٢] « أنشدني أبو الحسن محمد بن محمد الافريقى المتيم لسيف الدولة فى وصف قوس قزح وهو أحسن ما سمعت فيه على كثرته اه » الا أن صاحبنا عزاها فى عمدته [٣] الى ابن الرومى . وظاهر أن الثعالبى أقدم منه عصرا وأقوم بشعر المشارقة ضبطا وذكرا ، فقوله القول إذَنْ

(٣) الخطأ اللغوىّ ـ السيف المَشْرفى منسوب الى مشارف الشام أو اليمن أو الى مشرف (وفى ضبطه خلاف) قرية باليمن أو قين راجع هذه الاقوال مفصلة فى معجم ما استعجم ومعجم البلدان فى رسمَىْ مشارف ومشرف ـ الا أن صاحبنا خالف جمهور العلماء وقال فى عمدته [٤] « سيف مشرفىّ منسوب الى مشرف وهى قرية باليمن كانت السيوف تعمل بها . وليس قول من قال انها منسوبة الى مشارف الشام أو مشارف الرِيف بشىء عند العلماء وإن قاله بعضهم » ولم يبيّن لنا دليله وأما السيوف فكانت تنسب الى الهند للمعادن والى اليمن للعمل والى الشام أيضا كما قال الحماسى :

صفائح بُصْرَى أخلصتها قُيونها ومطّردا من نسج داود مُبْهما

(١) ٢ : ٩ (٢) ١ : ٢٩ (٣) ٢ : ١٨٤ (٤) ٢ : ١٨٠

ومعلوم أنهم يردّون الجموع إلى وزان المفرد في النسبة فلم أُدرك وجه انكاره الا أنني لست الآن بصدد التحقيق اللغوي ، فتمال أيها الناظر في كتابه حتى أُريكَ أنه لم يبدأ بنفسه في الانكار وجرى على المشهور بالاغترار ، حيث أنشدنا في عمدته [1] أيضا من مطربات أناشيده بيتا :

وقد نازعتْ فضل الزمام ابنَ نَكْبَة هو السيف لا ما أخلصته المشارفُ

فقوله « وليس قول من قال الخ » هـذا القائل هو ابن أخت خالته . رحمه الله رحمة واسعة ، ورزق جفرته شآبيب هامرة هامعة . انه قريب مجيب

متفرقات لغوية

« والبحث فيها على طريقة عقلية ، وفقاً للمبادىء الفيلولوجية »

﴿ أصل نون الوقاية ﴾

هذه النون تلحق ما يأتي :

(اولا) الفعل اذا اتّصل بياء المتكلم لتقي آخرهُ من الكسر كقولك نظرني وعاتبني لان الكسر ثقيل والفعل ثقيل ولا يجتمع ثقيلان ـ ما ألطف وأبدع هذا التعليل وما اثبته على محك النظر ـ فانْ قلت لم ولماذا كسرتم آخره في مثل قولكم « انظري في الامر أولا يا هند ثم عاتبي ما شئت أو مَنْ شئت » قالوا لك الياء هنا ضمير رفع والفعل يتحد مع ضمير الرفع فيصير معه كالكلمة الواحدة اذن فالياء في آخر انظري وعاتبي أصبحت آخراً وأصبحت الراء والباء حشواً ولا يمتنع كسر حرف هجاء الفعل الواقع حشواً كقولنا : قُتِل ونُظِر وعُوتِب . فان قلت لم لماذا ألحقتموها آخر المضارع المتصل بواو الجماعة كقولنا

(١) ١ : ١٠٤